

ملحق

بدور الإنسان في المعرفة والإدراك، ويقوم الإنسان - الممتبى - بدور هذه العناصر الخالدة في الشهرة والبروز ووقوع حدث المعرفة عليه. فالشاعر ينتصب في مقابل العالم، وتصر مظاهره عليه معترفةً به، وحتى القارئ الذي تلفحه التاء في "تعرفنى" يدخل بدوره في هذه الدائرة فأنا الشاعر هي المركز، والعناصر من حولها محيط يدور على هامشها ويكتسب طرفاً من دوامها وخلودها. ولا يقتصر الأمر على مجرد مبالغة تفضي إليها هذه المفارقة العكسية، لأن تأخير الفعل إلى نهاية الجملة الشعرية، واختتامها به يجعلها معقودة عليه، منصببةً فيه، مغلقةً في دائرته.

وإذا كانت هذه الجملة الشعرية الأولى تمثل كياناً وكوناً أنثروبولوجياً مختوماً ببناء المتكلم الشاعر، التي يرى فيها كل مردود للبيت ذاته، ويلتذ بتحويل إشارتها إلى نفسه، وهذه هي وظيفة التماهي الشعرية، فماذا تفعل الجملة الثانية؟

إنها تعيد نثر مفردات هذا العالم الدلالي ذاته، فتختار له هذه المرة عناصر أكثر تحديداً وأقل إبهاماً، إنها تقوم بمزيد من تبشير الرؤية المنداحة في الشطر الأول، فعالم الخيل الموحى بجوانب كثيرة أخذ يتحدد في الحرب وأدواتها المباشرة: السيف والرمح، وبقدر ما بين هذين العنصرين من ألفة التجاور والتكامل؛ فأحدهما أداة الالتحام عن طريق المسّ والآخر أدواته عن طريق القذف، حتى ليكاد أحدهما أن يصبح رديفاً للآخر لا مرادفاً له، فإنهما يقومان بدور إشاري محدد للقتال، فهما معاً يقيمان تناظراً دلالياً مع الخيل في مطلع الجملة الأولى، ويستجيبان لما فيها من خيلاء بحسّ عداوني جارح، فهذا السيف المسلط والرمح المترصد لا يقعان في الهواء، وإنما يصيبان الآخر المضاداً من بنى البشر، هنا تبرز برأسها خاصية بدوية عنيفة، هي التفرد والعدوانية، الأنا هي محور الكون، وقد تتآلف مع عناصره باستثناء الآخر الذي يحصر وجودها ويقاوم امتدادها فتعلن الحرب عليه، هنا تتجلى أسطورة الشجاعة العربية في وجهها السلبي المدمر. فهي ليست تلك الشجاعة التي تملكها النفس العظيمة في مجاهدتها لأهوائها وصراعها مع ذاتها، وليست تلك الشجاعة المتجلية في الإيثار والعمل من أجل الآخرين، بل هي الشجاعة التي تتجسد في السيف وتحتكم إليه فتحكم على الآخر بالموت.

إن المدى الحيوي للإنسان هكذا لا يمتد إلى أبعد من جسده، وطموحه لا يستوعب غيره، بل لا يرى في هذا الغير سوى عائقٍ لحريته وامتداده ووجوده ذاته.